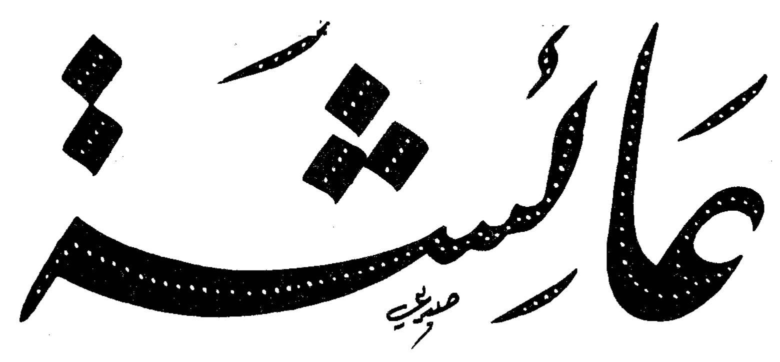
نساء حول الرسول صلى الله عليه وسلم

(١)



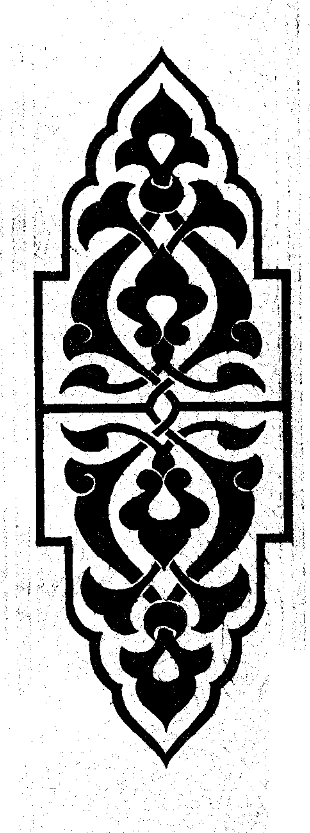
أم المؤمنين رضي الله عنها

حبيبة النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم النساء

ابراهيم محمد حسن الجمل

دار الفضيلة





عَائِشَة بنْت أَبِى بَكْر
(رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا)

أُمُّ المُؤمِنِين .. الحُمَيْرَاءُ .. الصِّديقة بِنْتُ الصِّدّيق .. حَبِيبَةُ النَّبِىّ ﷺ ، وَزَوْجَتُهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

أَبُوهَا : الصِّدّيق أَبُوبَكْرٍ ، أَفْضَلُ الأُمَّةِ ، وَخَلِيفَةُ النَّبِىّ ﷺ ، وَمُؤْنِسُهُ فِى الغَارِ ، وَصَدِيقُهُ الأَكْبَرُ ، وَصَدِيقُهُ الأَشْفَقُ ، وَوَزِيرُهُ الأَحْزَمُ ، أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَالَّذِى قَالَ فِيهِ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا دَعَوْتُ أَحَداً فِى الإِسْلَامِ إِلَّا كَانَتْ لَهُ كَبْوَةٌ (نَظَرٌ وَتَرَدُّدٌ) إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِى بَكْرٍ » (١) صَاحِبُ الجُودِ وَالكَرَمِ ، ﴿ ... **ثَانِىَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ** ... ﴾ (٢) ، رَضِىَ الله عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

أَمَّا أُمُّهَا : فَهِىَ أُمُّ رُومَان ، وَاسْمُهَا : زَيْنَب بِنْت عَامِر ، القُرَشِيَّة ، أَسْلَمَتْ فِى مَكَّةَ ، وَبَايَعَتِ النَّبِىّ ﷺ ، وَوَقَفَتْ بِجَانِبِ زَوْجِهَا أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عَنْهُ) وَمُعَاوَنَتِهِ وَنُصْرَتِهِ بِإِخْلَاصٍ ، وَوَفَاءٍ وَتَضْحِيَةٍ ، وَكَانَتْ عَلَى قَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الجَمَالِ ، وَرُوِىَ عَنِ النَّبِىّ ﷺ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ

---

(١) البداية (١٠٨/١ ، ٢٧/٣) .
(٢) سورة التوبة : الآية (٤٠) .

يَنْظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنَ الحُورِ العِين فَلْيَنْظُر إِلَى أُمِّ رُومَان »[1] ، تُوُفِّيتْ سَنَة أَرْبَع مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَنَزَلَ النَّبِيّ ﷺ قَبْرَهَا ، وَاسْتَغْفَرَ لَهَا قَائِلًا : « اللَّهُمَّ لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ ، مَا لَقِيَتْ أُمُّ رُومَان فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ »[2] .

مَوْلِدُهَا وَنَشْأَتُهَا :

وُلِدَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ (رَضِيَ الله عَنهَا) فِي مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ تَارِيخِ الدَّعْوَةِ ، وَنُزُولِ الْوَحْيِ ، وَمَا إِنْ خَرَجَتْ إِلَى الْحَيَاةِ حَتَّى أَرْسَلَهَا أَهْلُهَا كَغَيْرِهَا مِنَ الأَوْلَادِ إِلَى الصَّحْرَاءِ ، لِيَتَنَفَّسُوا هَوَاءَهَا الطَّلْق ، وَيَتَشَرَّبُوا لُغَتَهَا ، حَتَّى إِذَا وَصَلُوا إِلَى الرَّابِعَةِ أَوِ الْخَامِسَةِ رَجَعُوا إِلَى أَهْلِهِم .

رَجَعَتْ عَائِشَةُ (رَضِيَ الله عَنهَا) مِنْ عِنْدِ بَنِي مَخْزُوم لِتُلَازِمَ أُخْتَهَا أَسْمَاءَ (رَضِيَ الله عَنهَا) وَكَانَتْ تَكْبُرُهَا بِبِضْعِ سَنَوَاتٍ ، فَكَانَتْ لَهَا فِي بَيْتِهَا الكَبِير أُخْتاً وَمُرَبِّيَةً لَهَا وَمُعَلِّمَةً .

عَلَّمَتْهَا أَسْمَاءُ (رَضِيَ الله عَنهَا) النُّطْقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، فَأَسْلَمَتْ عَائِشَة (رَضِيَ الله عَنهَا) وَنَطَقَتْ بِأَنَّ الله وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً بن عَبْدِ اللهِ ﷺ هُوَ مُرْسَلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

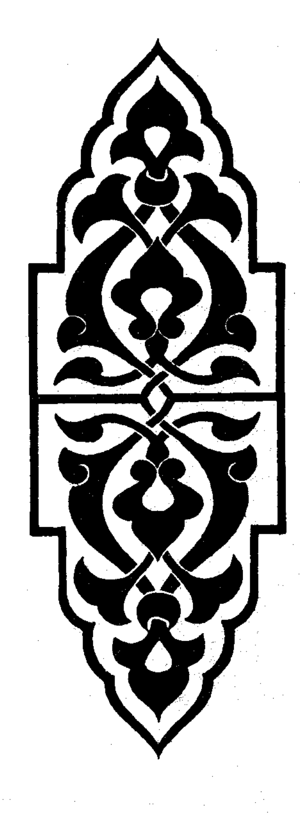
كَانَتْ أَحْيَاناً تَأْخُذُهَا إِلَى دَارِ الأَرْقَم بْنِ أَبِي الأَرْقَم (رَضِيَ الله عَنهُ) لِتَجْتَمِعَ مَعَ المُؤْمِنَاتِ هُنَاكَ ، وَلِتَسْتَمِعَ إِلَى الآيَاتِ وَالسُّوَرِ التِي نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ

---

(١) ، (٢) أخرجه ابن سعد (٢٠٢/٨) .

اللهِ ﷺ ، وَكَانَتْ حِينَمَا تَرْجِعُ إِلَى البَيْتِ تُسْرِعُ إِلَى أَبِيهَا وَتَتْلُو عَلَيْهِ مَا سَمِعَتْ ، وَحَفِظَتْ مِنَ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) يُسَرُّ بِهَا كَثِيراً ، وَيَضُمّها بِحَنَانٍ ، إِشْفَاقاً دَاعِياً لَهَا بِالبَرَكَةِ وَالخَيْرِ .

لَقَدْ ظَهَرَتْ قُوَّةُ الحِفْظِ ، عِنْدَ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) مُنْذُ نُعُومَةِ أَظَافِرِهَا ، فَعِنْدَمَا كَانَ أَبُوهَا يَأْتِي بِبَعْضِ آيَاتِ القُرْآنِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الوَحْي مِنَ السَّمَاءِ ، وَيَتْلُو تِلْكَ الآيَاتِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، فَمَا إِنْ تَسْمَعْ عَائِشَةُ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) تِلْكَ الآيَاتِ حَتَّى تَحْفَظَهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، بَلْ وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ بِذَلِكَ عَلَى أُخْتِهَا أَسْمَاء (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) .



خِطْبَةُ عَائِشَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا) لِلنَّبِيّ ﷺ

عِنْدَمَا تُوفِّيَت السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) زَوْجُ النَّبِيّ ﷺ فِي مَكَّةَ شُغِلَ المُسْلِمُونَ بِأَمْرِهِ ﷺ ، وَأَمْرِ بَيْتِهِ وَبَنَاتِهِ وَوِحْدَتِهِ وَحُزْنِهِ ، وَمَنْ يَقُومُ بِصُحْبَتِهِ وَخِدْمَتِهِ .

تَقَدَّمَتْ أُمُّ شُرَيْك (خَوْلَة بِنْت حَكِيم) (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) الصَّحَابِيَّةُ الجَلِيلَةُ ، زَوْجَةُ أَخِيهِ ﷺ مِنَ الرِّضَاعِ عُثْمَان بن مَظْعُون إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ **وَقَالَتْ لَهُ** : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَلَا تَتَزَوَّجُ ؟!

قَال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَمَنْ يَا أُمَّ شُرَيْك ؟

قَالَتْ : إنْ شِئْتَ بِكْراً ، أَىْ لَمْ تَتَزَوَّجْ مِنْ قَبْلُ ، وَإنْ شِئْتَ ثَيِّباً ، أَىْ قَدْ تَزَوَّجت بِرَجُلٍ قَبْلَكَ ، ثُمَّ طُلِّقَتْ أَوْ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا .

قَالَ ﷺ : عَرَفْتُ الثَّيِّبَ ... فَمَنْ هِىَ البِكْرُ ؟!

قَالَتْ : هِىَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِى بَكْرٍ .

قَالَ ﷺ : اذْهَبِى فَاذْكُرِيهَا عَلَىّ .

فَانْطَلَقَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيم إِلَى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عَنهُ) ، وَدَخَلَتْ عَلَى أُمِّ عَائِشَةَ ، ثُمَّ قَالَتْ - أَىْ أُمَّ رُومَان - ! مَا أَدْخَلَ الله عَلَيْكُمْ مِنَ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ ؟!

قَالَتْ أُمُّ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عَنهَا) : وَمَا ذَاكَ يَا أُمّ شُرَيْك ؟

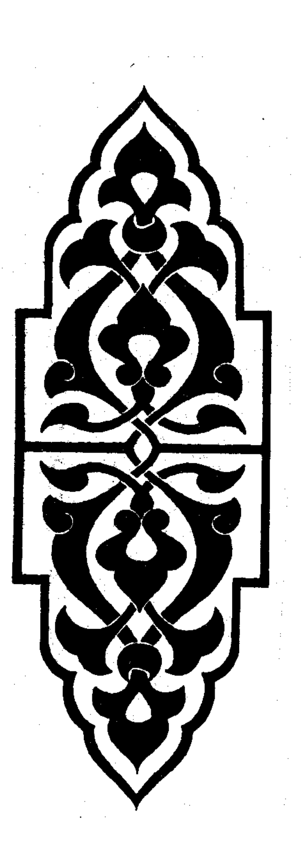
قَالَتْ أُمُّ شُرَيْك : أَرْسَلَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عَنها) .

رَحَّبَت أُمّ عائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) وَرَأَتْ أَنْ تَنْتَظِرَ حَتَّى يَأْتِىَ أَبُو بَكر (رَضِىَ الله عَنهُ) .. وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) وَدَخَلَتْ أُمّ شُرَيْك مَعَ زَوْجَتِهِ أُمِّ عائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَبَدَأَتْ أُمّ شُرَيْك الحَدِيث مِنْ أَوَّلِه ، فقالت : يا أَبَا عبد الله : ما أَدْخَلَ اللّهُ عَلَيْكُم مِنَ الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ ؟

قَالَ أَبُو بَكْر (رَضِىَ الله عنهُ) : وَمَاذَاكَ يَا أُمّ شُرَيْك ؟

قَالَتْ : أَرْسَلَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) .

قَالَ أَبُو بَكْر (رَضِىَ الله عنهُ) : إِنَّهَا ابْنَةُ أَخِيهِ ،



فَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ ؟! ارْجِعِى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْأَلِيهِ .

تَرَكَتْ أُمُّ شُرَيْكٍ بَيْتَ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، وَذَهَبَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَذَكَرَتْ مَا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ (رَضِى اللهُ عنهُ) .

فَقَالَ لَهَا ﷺ : ارْجِعِى إِلَى أَبِى بَكْرٍ فَقُولِى لَهُ : إِنَّكَ أَخِى فِى الإِسْلَامِ ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِى .

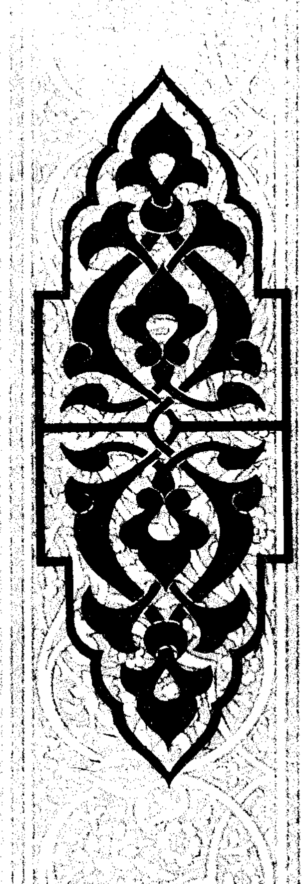
عَادَتْ أُمُّ شُرَيْكٍ إِلَى أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْر (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : انْتَظِرِى حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكِ .

خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) لِيَذْهَبَ إِلَى دَارِ الْمُطْعِمِ بن عدىّ ، ، وَهُوَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ فِى الجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ الْمُطْعِمُ خَطَبَ عَائِشَةَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) لابْنِهِ جُبَيْر ... وَوَعَدَهُ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) بِالْمُوَافَقَةِ عَلَى هَذِهِ الخِطْبَةِ .

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ وَلَمْ يُكَلِّمْ الْمُطْعم أَبَا بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) فِى هَذَا الأَمْرِ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) لِيَتَعَرَّفَ عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ الخِطْبَةِ وَالزَّوَاجِ ، وَهَلْ مَا يَزَالُ عَلَى مَوْقِفِهِ مِنْ خِطْبَةِ ابْنَتِهِ عَائِشَةَ (رَضِىَ اللهُ عَنهَا) مَعَ أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِالإِسْلَامِ لَا هُوَ وَلَا ابْنُه ؟

دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ أُمّ جُبَيْرٍ زَوْجَتُهُ .



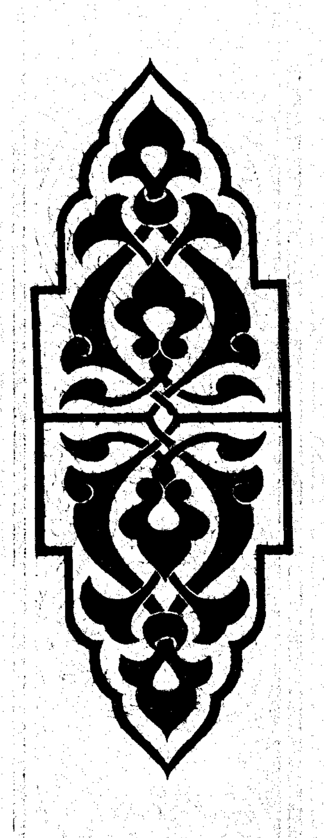
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : يَا أَبَا جُبَيْر مَا تَقُولُ فِى أَمْرِ هَذِهِ الْجَارِيَة (يَعْنِى ابْنَتَهُ عَائِشَةَ) .. فَسَكَتَ الْمُطْعم بن عَدِىّ قَلِيلًا ، ثُمَّ نَادَى أُمَّ جُبَيْرٍ لِيُشْرِكَهَا مَعَهُ فِى الرَّأْى .

فَقَالَ لَهَا : يَا أُمَّ جُبَيْر .. مَا تَقُولِينَ فِيمَا يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ؟

فَقَالَتْ أُمُّ جُبَيْرٍ مُخَاطِبَةً أَبَا بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) : لَعَلَّنَا إِنْ أَنْكَحْنَا هَذَا الصَّبِى إِلَيْكَ تُدْخِلُهُ فِى دِينِكَ الَّذِى أَنْتَ عَلَيْهِ .

لَمْ يُجِبْهَا أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ، لَكِنَّهُ سَأَلَ الْمُطْعم بنَ عَدِىّ نَفْسَهُ : مَا تَقُولُ أَنْتَ ؟

فَكَانَ جَوَابُهُ : إِنَّهَا تَقُولُ مَا تَسْمَعُ . فَكَانَ هَذَا تَحَلُّلًا لِأَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) مِنْ وَعْدِهِ الَّذِى وَافَقَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُؤْثَرْ عَنْ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) أَنَّهُ أَخْلَفَ وَعْداً قَطّ .

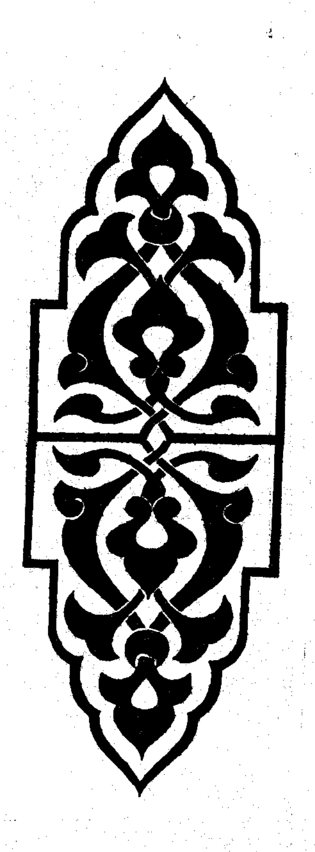


رَجَعَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) إِلَى بَيْتِهِ ، وَمَا تَزَالُ أُمُّ شُرَيْكٍ تَنْتَظِرُ رَدَّهُ ، فَدَخَلَ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ خَاطَبَ أُمَّ شُرَيْكٍ قَائِلًا : يَا أُمَّ شُرَيْك ادْعِى لِى رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَدَعَتْهُ ، فَوَافَقَ عَلَى الخِطْبَةِ ، وَعَائِشَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) بِنْتُ سَبْعِ سَنَواتٍ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَعَقَدَ عَلَى عَائِشَةَ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعَمَائَة دِرْهَماً .

★ ★ ★

بَعْـدَ الـخِطْبَـةِ

كَانَتْ صِلَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ) قَوِيَّةً ، فَهُوَ مِنْ أَعَزِّ أَصْحَابِهِ ، بَلْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ) كانَ وَزِيرَهُ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ ، وَوَقَفَ بِجِوَارِهِ وَسَاعَدَهُ ، وَكَانَ بَيْتُهُ مَفْتُوحاً لَهُ ، يَزُورُهُ فِي أَيّ وَقْتٍ ، لَقَدْ قَضَى مَعَهُ وَقْتاً طَوِيلًا ، فَمِنَ الطَّبِيعِيّ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) مَعْرِفَةً وَثِيقَةً ، وَإِنْ كَانَ يَرَاهَا قَبْلَ الخِطْبَةِ ، فَبعدهَا قَدْ اتَّخَذَتْ لَهَا مَكاناً ، وَهِيَ الصَّغِيرَة ، فَكَانَ يُوصِي أُمَّها بِهَا قَائِلًا : « يَا أُمّ رُومَان اسْتَوْصِي بِعَائِشَة خَيْراً وَاحْفَظِينِي فِيهَا » (١) .



كَانَ ذَلِكَ يُعْلِي مَنْزِلَة عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَمَرّة عِنْدَمَا كَانَ يَتَرَدّد كَعَادَتِهِ عَلَى بَيْت أَبِي بَكْرٍ (رَضِيَ الله عنهُ) ، دَخَلَ وَوَجَدَ عَائِشَة (رَضِيَ الله عنهَا) مُسْتترةً ببابِ الدّارِ تَبْكِي بُكاءً شَدِيداً ، فَسَأَلَهَا عن سِرّ بُكائِها ، فَشَكَتْ لِلنَّبِيّ ﷺ أُمَّها ، فَطَيّبَ خَاطِرَهَا بِبَعْضِ الكَلِمَاتِ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى أُمّ رُومَان ، وَقَالَ لَهَا : « يَا أُمَّ رُومَان أَلَمْ أُوصِكِ بِعَائِشَةَ أَنْ تَحْفَظِينِي فِيهَا » ؟

قَالَتْ أُمّ رُومَان : (يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّها بَلّغتِ الصِّدّيق عَنِّي ، وأَغضبَتْه عَلَيْنا) .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : « ... وَإِنْ فَعَلَتْ ... » .

قَالَتْ أُمّ رُومَان : (لَا جَرَم ... لَا سُوءتها) (٢) .

---

(١) ابن سعد (٨/٦٢) . (٢) ابن سعد (٨/٦٣) .

الهِجْـرَةُ إِلَى الـمَـدِينَـة

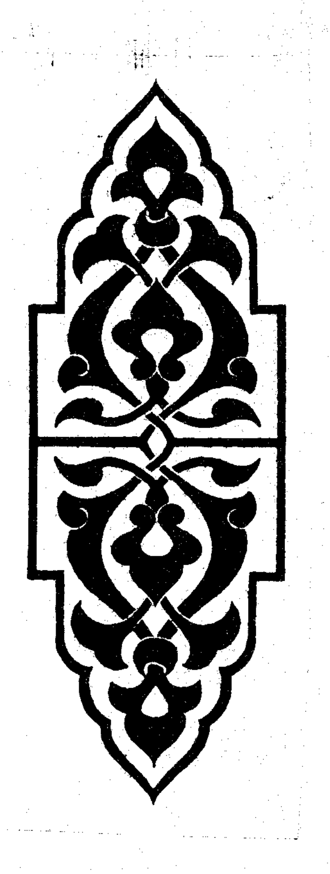
اشتدّ إيذاءُ قُرَيْش لِلنَّبِيّ ﷺ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِهِ فَأَمَرَهُ المَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْهِجْرَةِ إِلَى المَـدِينَةِ ، فَدَخَلَ عَلَى أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) فَقَالَ : أَخْرِجْ مَنْ عِنْدك .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَتْ عَائِشَةُ وَأَسْمَاءُ (رَضِىَ الله عنهم) **مَعَهُ** : إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَاى، وَلَا أَحد غَرِيبٌ فِى البَيْتِ .

فَقَال ﷺ : أُذِنَ لِى بِالْهِجْرَة .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنه) : الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ الله .

فَقَالَ ﷺ : الصُّحْبَة .

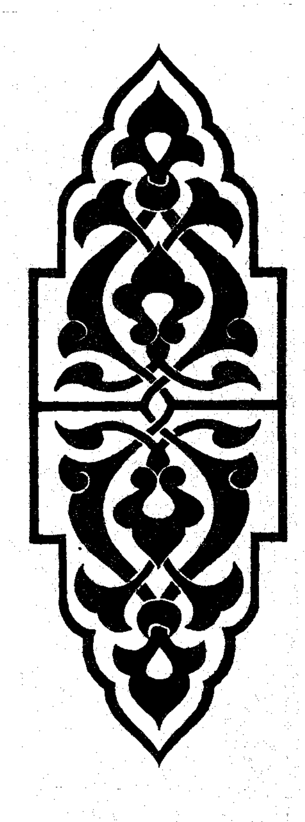


وَعَلِمتْ عَـائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) بِمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، فَقَامَتْ بِدَوْرِهَا وَهُوَ مُشَارَكَة أُخْتِهَا فِى الإِعْدَادِ لما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرّفِيقان مِنْ طَعَامٍ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى وَصَلَا سَالمَيْن إِلَى المَدِينَةِ .

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَيْدَ بن حَارِثَة (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَمَعَهُ أَبُو رَافِع مَوْلَاهُ إِلَى مَكَّةَ ، وَأَعْطَاهُمَا بَعِيرَيْن وَخمْسمائة مِنَ الدَّرَاهِم أَخَذهَا مِن أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) لِيَشْتَرِيَا بِهَا مَا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ ، وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنـهُ) مَعَهُمَا عَبْدَ اللهِ بْن أُرَيْقِط ببعيرَيْنِ أَوْ ثَلَاثة ، لِيَأْتُوا بِبَنَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَعَائِشَةَ وَأُخْتِهَا

أَسْمَاء بِنْت أَبِى بَكْرٍ وَزَوْجَته أُمّ رُومَان ، وَجمع مِنَ الـمُسْلِمين ، وَتَابَعُوا سَيْرهُمْ ، وَفِى الطَّرِيقِ نَفر البَعِير الَّذِى كَانَ يَحْمِلُ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) ، فَخَافَتْ عَلَيْهَا أُمُّهَا أُمُّ رُومَان وَاضْطَرَبَتْ ، فَصَرَخَتْ وَقَالَتْ : (وَابْنَتَاه ! وَاعَرُوسَاه !) وَلكِنَّ الله سَلَّمَ ، وَوَصَلُوا سَالمين ، إِلَى الـمَدِينَةِ ، وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ مَشْغُولًا بِبِنَاءِ الـمَسْجِدِ ، وَمَا حَوْلَهُ مِن الـحُجُرَاتِ ، وَمِنْهَا بَيْتُ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) بِجِوَارِ الـمَسْجد .

نَزَلَ الـمُهَاجِرُونَ فِى السَّفْح فِى بَنِى الـحَرْث بن الـخَزْرَج ، وَفِيهِمْ بَنَاتُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَعَائِشَةُ ، وَأُمُّهَا أُمّ رُومَان (رَضِىَ الله عنهم) [1] .



زَوَاجُ عَائِشَة (رَضِىَ اللَّهُ عَنهَا)

جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدّيق (رَضِىَ الله عنهُ) فِى الـمَدِينَةِ مَعَ رِجَالٍ وَنِسَاء مِنَ الأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ عَائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) عَلَى أُرجُوحَة ترجح بين فرعَين من فُرُوع الشَّجَر ، فَأَنْزَلتهَا أُمّهَا من الأُرْجُوحَة ، ثُمَّ سَوّتْ شَعْرَهَا ، وَمَسَحَتْ وَجْهَهَا بِالـمَاءِ ، وَتَرَكَتْهَا حَتَّى سَكَن نَفسُهَا مِن جَرّاء لَعِبهَا ، ثُمَّ دَخَلَتْ بِهَا ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِس عَلَى سَرِيرٍ وَمَعَهُ رَجَالٌ ونِسَاءٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، ثُمَّ قَالَتِ الأُمُّ مُخَاطِبَة عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) : هَؤُلَاءِ أَهْلُكِ فَبَارَكَ الله فِيهِم وَبَارَكَ فِيك !

---

(١) راجع البداية (٣/٢٢١) .

ثُمَّ أَكَلُوا مَا كَانَ مَوْجُوداً فِي البَيْتِ مِنْ طَعَامٍ ، وَقَدَّمُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَدَحاً مِنْ لَبَنٍ فَشَرِبَ مِنْهُ ، وَنَاوَلَهُ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) فَخَفَضَتْ رَأْسهَا حَيَاءً ... ثُمَّ أَخَذَتْهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَشَرِبَتْ مِنْهُ ، وَتَتَذَكَّرُ عَائِشَةُ (رَضِيَ الله عنهَا) تِلْكَ اللَّيْلَةَ فتقُولُ :

(مَا نُحِرَتْ جَزُور .. وَلَا ذُبِحَتْ شَاة) .

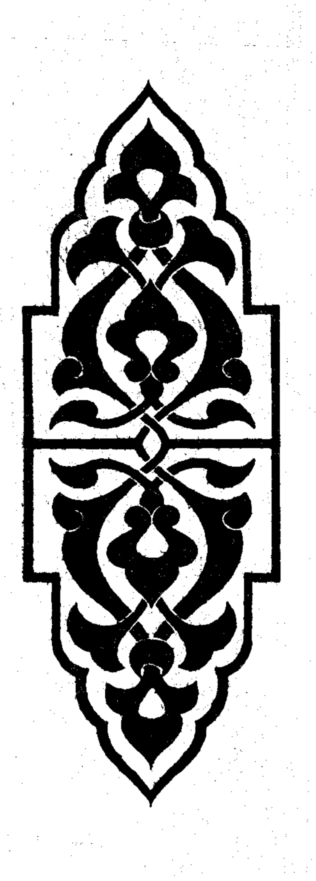
انْتَقَلَتْ عَائِشَةُ (رَضِيَ الله عنهَا) إِلَى بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ ، وَهُوَ حُجْرَةٌ مِنَ الطُّوبِ اللَّبِن ، وسُقِفَتْ بِسَعَفِ النَّخِيلِ ، وَأُسْدِلَتْ عَلَى بَابِهَا سَتَائِر مُتَّخذَة من الشَّعْر ، وَهَذَا البَابُ يُطِلُّ عَلَى المَسْجِدِ بِحَيْثُ كَانَ فِي اسْتِطَاعَةِ الرَّسُول ﷺ أن يرى الوَاقِفِين لِلصَّلَاة .

لَمْ يَكُنْ أَثَاثُ بَيْتِ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) لِيَخْتَلِفَ فِي بَسَاطَتِهِ عَنْ البِنَاءِ ، وَلَيْسَ أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِمَّا جَاء عَلَى لِسَانِ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عنهَا) فَقَد رَوَتْ أَنَّ عُمَرَ ابن الخَطَّابِ (رَضِيَ الله عنهُ) دَخَلَ عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ ، وَكَانَ رَاقِداً وَتَحْتَ رَأْسِهِ وسَادَةٌ مِنْ أُدْمٍ مَحْشُوَّة لِيفاً ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَرْضِ إِلَّا الحَصِير ، فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ (رَضِيَ الله عنهُ) ذَلِكَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ بالدُّمُوع .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا يُبْكِيكَ يَا عُمَرُ ؟ » .

قَالَ عُمَر (رَضِيَ الله عنهُ) : كِسْرَى وَقَيْصَر عَدُوَّا اللهِ يَفْرِشَانِ الدِّيبَاج وَالحَرِير ، وَأَنْتَ نَبِيّه وَصَفِيّهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الأَرْضِ إِلَّا الحَصِير ، ووسَادَة مَحْشُوّة لِيفاً .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أُولَئِكَ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ » .



وَتقُول عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) : (لَمْ يَكُنْ لَدَيْنَا إِلَّا فِرَاش وَاحِد فِى بَادِئِ الأَمْرِ ، ثُمَّ رُزِقنَا فِرَاشاً آخر) .

وَلَقَدْ أَعْطَتْ إِحْدَى الصَّحَابِيَّاتِ فِرَاشاً وَثيراً للسَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) وَأَرْسَلَتْهُ إِلَيْهَا ، فَأَمَرهَا رَسُول الله ﷺ أَنْ تَرُدَّه لِصَاحِبَتِها .

وَلَمْ يَكُن طَعَامُهُمَا بِأَقَلّ بَسَاطَة مِنْ حَالةِ البَيْت وَالأَثَاث ، بَلْ إِنّ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنْهَا) تَقُولُ : (كَانَ يَأْتِى عَلَى آل مُحَمّد ﷺ الشَّهْر مَا يَخْتَبزون خُبْزاً ، وَلَا يَطْبُخُونَ قِدْراً) .

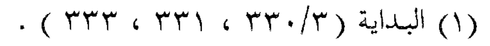
لَقَدْ أَمْضَتْ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنْهَا) حَيَاتهَا فِي البَيْتِ الَّذِى تَزَوَّجتْ فِيه ، وَلَمْ تُغَيِّره ، وَلَمْ تَسْتَبْدِل طِيلَةَ حَيَاتِهَا بِهِ غَيْرَه [١] .

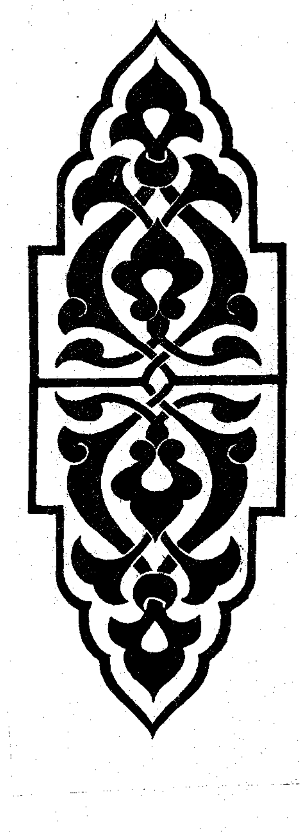
صِفَتُهَا (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا)

كَانَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) بَهِيَّةَ الطَّلْعَةِ ، وَضَاءَةَ الجَبِينِ ، زَاهِيَة الشَّبَاب ، مُتَوَقِّدَةَ الذَّكَاءِ ، حَاضِرَةَ الذِّهْنِ ، عَذْبَة الحَدِيثِ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ مِنَ الحِكْمَةِ وَالفُكَاهَةِ ، فَقَدْ تَقدّم بِهَا السِّنُّ قَلِيلًا فَكَبرتْ .

كَانَتْ جَمِيلَةً بَيْضَاءِ اللَّوْن تَمِيلُ إِلَى الشُّقْرَة ، مُعْتَدِلَةَ القَوَام قَرِيبَةً إِلَى الطُّولِ .

كَانَتْ تَمْتَازُ بصِفَات وَرِثَتْهَا مِنْ أَبِيهَا ، مِمَّا جَعَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَصِفُهَا بِابْنَةِ أَبِى بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) لِشِدّةِ ذَكَائِهَا ، وَنَبَاهَتِهَا وَسُرْعَةِ بَدِيهَتِهَا ، وَجُرْأَتِهَا فِى الحَقّ وَيُنَادِيهَا بِقَوْلِهِ : يَا حُمَيْرَاء .


(١) البداية (٣/٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٣) .



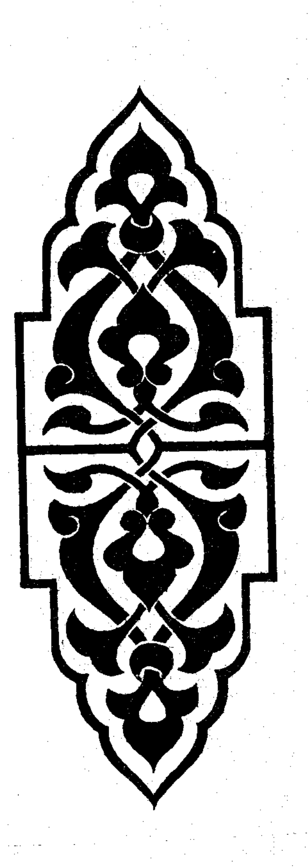
كَانَتْ جَهُورِيَّة الصَّوْتِ ، وَلَهَا قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ تَخْطُب ، وَتَعِظَ وَتُذَكِّرَ النَّاسَ بِأُمُورِ الدِّين .

وَكَثِيراً مَا كَانَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) تَنْصَحُ النِّسَاءَ بِالعِنَايَةِ بِأَنْفُسِهِنّ وَوُجُوهِهِنّ لِيَكُنّ أَحْسَنَ قَبُولاً عِنْدَ أَزْوَاجِهِنّ ، وَأَنْ يَكُون للواحِدَة مِنْهُنّ ثَلاَثَةُ أَثْوَابٍ تُصَلِّى فِيهَا : دِرْعٌ ، وَجِلْبَابٌ ، وَخِمَار .

كَانَتْ تُوصِى بالاحْتِشَامِ وَالوَقَارِ ، تَتَسَتَّر كَثِيراً ، وَتَفْرِضُ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ .

دَخَلَتْ عَلَيْهَا حَفْصَة ابنةُ أَخِيهَا عَبْد الرَّحْمن (رَضِى الله عنهم) ، وَعَلَيْهَا خِمَار رَقِيقٌ فَشَقَّتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَأَبْدَلَتْهُ بِخِمَارٍ كَثِيفٍ .

كَانَتْ شَدِيدَةَ الحَيَاءِ حتّى إِنَّهَا كَانَتْ تَدْخُل البَيْتَ الَّذِى دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، وَأَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) ، وَهِىَ وَاضِعَةٌ ثَوْبهَا ، وَتَقُول : « إِنَّمَا هُوَ زَوْجِى وَأَبِى ، فَلَمّا دُفِنَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ (رَضِى الله عنهُ) مَعَهُما ، كَانَتْ لَا تَدْخُلُ إِلَّا مَشْدُودَة عَلَيْهَا ثِيَابُها حَيَاءً مِنْ عُمَر (رَضِى الله عنهُ) » .



فِى بَيْت النَّبِىّ ﷺ

كَانَ ﷺ مُتَفَهِّماً جَيِّداً للسَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَهِىَ الذَّكِيَّةُ الحَافِظَةُ لِآلَافِ الأَبْيَاتِ مِنَ الشِّعْرِ العَرَبِىّ ، وَعَت التَّارِيخ وَعُلُوماً أُخْرى كَثِيرَة ، فَلَمْ تَكُنْ تَسْمع عِلْماً أَوْ مَعْرِفَةً إِلَّا وَعَتْهَا وحفظتها ، فَإِذَا جَاءَتْ مُنَاسبةٌ أَفْرَغَتْ مَا عِنْدَهَا مِنْ مَعْلُومات .

وَهِىَ مَعَ هَذَا صَغِيرَة السِّنّ ، وَتَزَوَّجَتْ فِى سِنّ صَغِير لَكِنَّها عَلَى عِلْمٍ وَدِرَايَةٍ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الزَّوْج ، مِمَّا جَعَلَ زَوْجَهَا الرَّسُول ﷺ يجلها وَيكْبُرُها ، وَمَعَ كُلّ هَذَا فَأَحْياناً لَا تنْسَى أَنَّهَا لَا تَزَالُ حَرِيصَةً عَلَى أَنْ تَلْهُو وَتَلْعَبَ كَالبَنَاتِ الصَّغِيرَات ، فَلَمْ يُخْرِجْها عَنْ طَبِيعَتها ما أُلْقِىَ عَلَيْهَا مِن مَهَامٍ .

رُوى عَنهَا (رَضِىَ الله عنهَا) أَنها قَالَتْ : « كُنْتُ أَلعَبُ بالبَنَاتِ (اللعب) وَيَجِئن صَواحِباتٍ لِى فَيَلْعَبْن مَعِى ، فَإِذَا رَأَيْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ انْقَمَعْنَ[1] مِنْهُ ، فَكَانَ يَدْخُلُ ، وَهُنَّ يَلْعَبن مَعِى » .

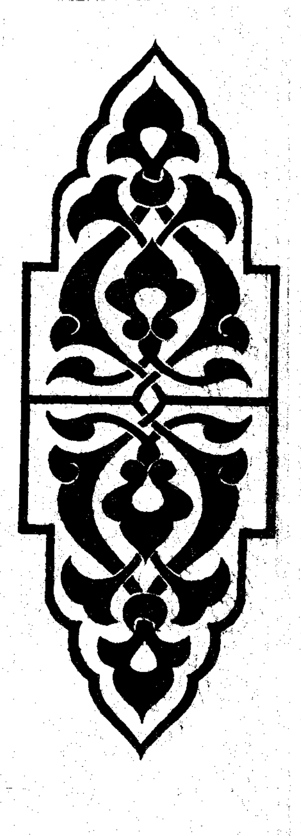
وَدَخَلَ عَلَيْها رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى يَوم مِنَ الأَيّام ، فَوجَدَهَا تَلعَبُ بالبَنَاتِ (اللعب) ، فَقَالَ : « مَا هَذَا يَا عَائِشَة » [2] ؟

قَالَتْ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) : خَيْل سُلَيْمان .

فَضَحِكَ ﷺ .

كَانَتْ حَيَاتها مَمْلُوءَة بالنَّشَاطِ والحَيَوِيَّةِ وَالغِيرَة الَّتِى لَمْ تَخْرُجْ بهَا إِلَى الحدّ غير المَعْقُول ، وَإِنْ كَانَتْ الغِيرَة جُزْءًا من طَبِيعَة المرأَةِ .

وَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ تُغَنّيان بغنَاءِ بُعاثٍ ، فَاضْطَجع عَلَى الفِرَاشِ ، وَحَوّل وَجْهَهُ ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ)



---

(١) **انقمعن** : دخلن خلف الستار . (٢) ابن سعد (٨/٤٩) .

فَانتَهرَها قائِلًا : مِزمَارُ الشَّيطَانِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟

فَقَالَ ﷺ : دَعْهَا يَا أَبَا بَكْر .

فَلَمَّا غَفَل غَمَزَتْهُما ، فخرَجت الجَارِيَتَان [1] .

كَانَ ﷺ يُساعِدهَا أَحْيَاناً عَلَى اللَّهْوِ البَرىء ، خَاصَّة إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ مُنَاسَبة ، فَفِى عيدٍ من أعْياد المُسْلِمين كَانَ السّودان يَلْعَبُونَ بالدّرق [2] والحِرَاب ، فسأَلَ النَّبِىّ ﷺ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) : أَتُحِبِّين أن تَرينهُمْ وَهُمْ يَلْعَبُونَ بالسّيوف فِى المَسْجِدِ ؟

قَالَت عَائِشَة (رَضِى الله عنهَا) : نَعَمْ .

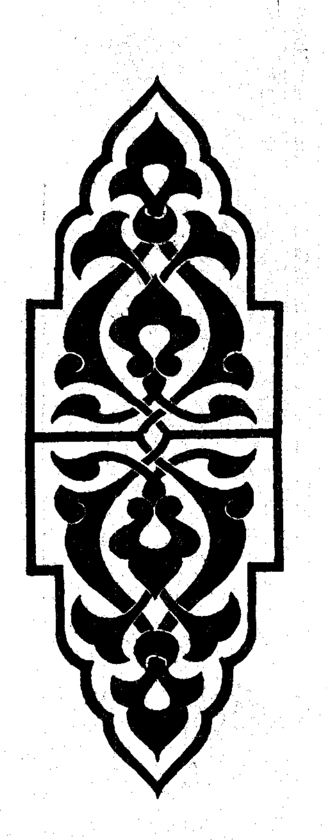
فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَه فى عَبَاءَتِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : دُونَكُمْ يَا بَنِى أَرفدة (أى يا أولاده) .

حَتَّى إِذَا ملّتْ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : حَسْبُكَ مَا رَأَيْتِ .

قَالَتْ (رَضِى الله عنهَا) : نَعَمْ حَسْبِى مَا رَأَيْتُ .

فَيَعُودُ بِهَا ﷺ إِلَى البَيْتِ [3] .

وَمِمَّا يروى أَنَّ النَّبِىّ ﷺ أَعْطَى عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) نَاقَةً سَوْدَاء كأَنّهَا فَحْمَةٌ صَعبة لَمْ تُخْطم [4] فَمَسّها ودَعَا لَها بالبَرَكَةِ ، ثُمَّ قَالَ : « ارْكَبى وَارْفِقِى بِهَا فَإِنَّهُ لَمْ يُجْعَلِ الرِّفقُ فِى شَىْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَىْء إِلَّا شَانَهُ .



---

(١) أخرجه البخارى (٢/٢١) .

(٢) **الدرقة** : شىء يحتمى به .   (٣) الطبقات (٨/٦٧) .

(٤) **خطم** : وضع على أنفه ما به يقاد بسهولة من حبل وغيره .

كَانَ النَّبِىّ ﷺ يَتْرك لعَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) حُرية الكَلِمة والمنَاقشَة ، ثُمَّ مَرّة كانَ بَيْنهمَا كَلام ، فَقَالَ لَهَا ﷺ : « أَتَرْضِينَ بأَبِيكِ بَيْنِى وَبَيْنَكِ » ؟

قَالَت عَائِشَة (رَضِى الله عنهَا) : نَعَمْ .

فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَقَالَ : إِنَّ هَـذِهِ مِنْ أَمْرِهَا كَذَا ... وَكَذَا ...

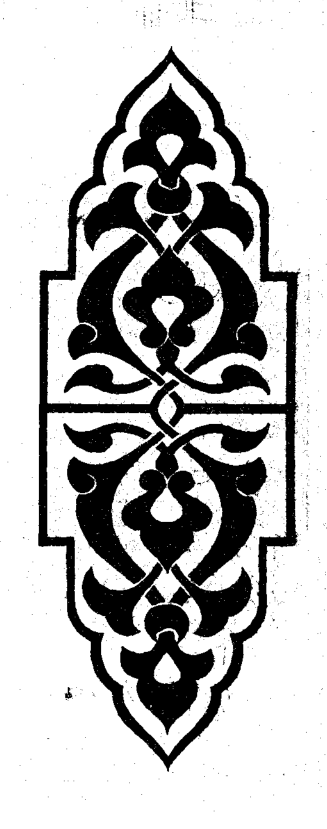
قَالَت عَائِشَة (رَضِى الله عنهَا) : اتَّقِ الله وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا .

فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ الله عنهُ) يَدَهُ لِيَضْرِبَهَا ، فَوَلّت فِرَاراً مِنْه ، فَلَزَقَتْ بِظَهْرِ زَوْجِهَا ، حَتَّى قَالَ رَسُول الله ﷺ : « أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لما خَرَجت ، فَإِنَّا لَمْ نَدْعُكَ لِهَذَا » .

كَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَرْفَقَ النَّاس مَعَ أَهْلِهِ وَكَانَ يَقُولُ : « أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً ، وَخِيَارُكُم خِيَارُكُم لِنِسَائِهِم » (١) .

وَكَانَ ﷺ يَتَلَطَّف مَعَ زَوْجَتِهِ ، تَقُولُ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) : « سَابَقَنِى رَسُول الله ﷺ فَسَبَقْتُهُ ، فَلَبِثْنَا حَتَّى إِذَا أَرْهَقَنِى اللَّحْمُ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِى ، فَقَالَ ﷺ : « هَذِهِ بِتِلْك » (٢) .

★ ★ ★



---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢) .

(٢) انظر : ابن سعد (٦٤/٨) .

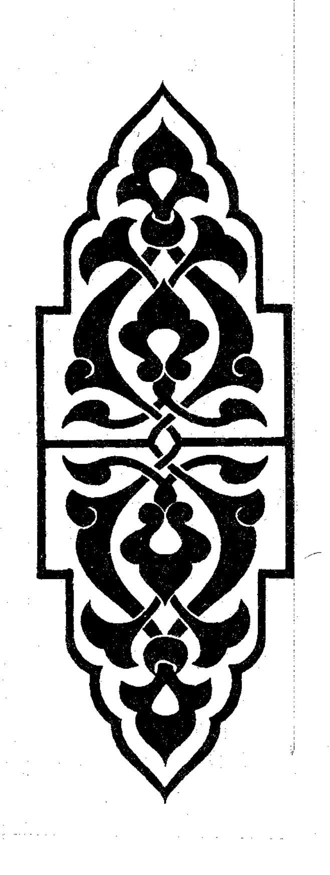
عَائِشَةُ (رَضِىَ اللَّـهُ عَنهَـا)
وَوَفَاةُ رَسُـولِ اللَّـهِ ﷺ

مَرَّ مَا يَقْرُبُ مِنْ عَشْرِ سَنَوَات ، وَعَائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) مُلَازِمَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهِىَ النَّشِيطَةُ الذَّكِيّة تَعِى وَتَحْفَظُ كُلَّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ عَلَيْهَا وَاجِباً تُؤَدِّيه لِهَذِهِ الأُمَّةِ خَاصَّةً أَنَّهُ لَا نَبِىّ وَلَا رَسُول بَعْدَهُ ، فَهُوَ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِين ﷺ .

وَفِى يَوْمٍ حِينَمَا عَادَ مِنْ المَسْجِدِ إِلَى البَيْتِ وَجَدَ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) تَشْكُو صُدَاعاً فِى رَأْسِهَا وَتَقُولُ : (وارأساه) ، فَقَالَ لَهَا وَقَد بَدَأَ يُحسُّ أَلَم المَرَضِ : « بَلْ أَنَا وَاللهِ يَا عَائِشةُ وَارَأْسَاه »[1] .

لَكِن لَمْ يَكُنْ المَرَضُ قَدْ اشْتَدّ إِلَى الحَدِّ الَّذِى يُلْزِمُهُ الفِرَاش ... فَقَامَ بِبَعضِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ نَحْوَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ ، لَكِن المَرَضَ اشتَدّ عَلَيْهِ ، وَتَمَكَّنَتْ الحُمّى مِنْهُ ، فَقَالَ لِمَنْ يُحِيطُ بِهِ : هَرِيقُوا عَلَىّ سَبْعَ قِرَبٍ مِنَ آبَارٍ شَتّى حَتّى أَخْرُجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْهَدَ إِلَيْهِمْ ، ثُمَّ عَصَبَ رَأْسَهُ وَخَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ وَجَلَسَ عَلَى المِنْبَر وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ : « إِنْ عَبداً مِنْ عِبَادِ اللهِ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللهِ » .

ثُمَّ أَوْصَى المُسْلِمين بِالأَنْصَارِ ـــ وَهُمْ أَهْلُ المَدِينَةِ ـــ خَيْراً .

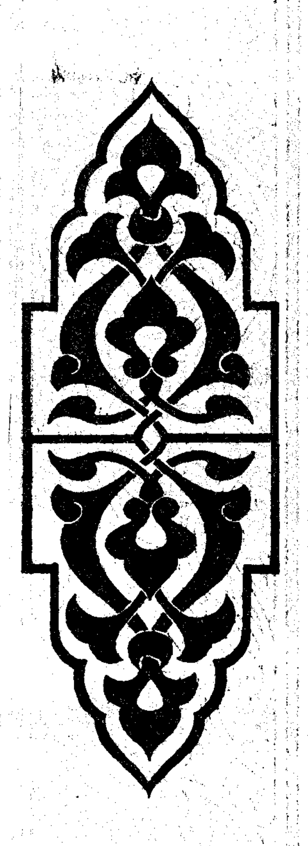


(١) أخرجه ابن ماجه (١٤٦٥) ، والبداية (٥/٢٢٤) .

دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ عَائِشَة (رَضِىَ اللهُ عنهَا) وَلَكن المَرَض اشْتَدّ عَلَيْهِ ، فَأَمَرَ أَبَا بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) أنْ يُصَلِّى بِالنَّاسِ وَكَرَّرَهَا فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ (رَضِىَ اللهُ عنهُ) ... وَجَاءَتْ الصَّحْوَة الَّتِى تَسْبِق المَوْتَ ، فَخَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ وَفَرِحَ النَّاسُ فَرَحاً عَظِيماً ... وَلكِنّ الحُمّى اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ ، فَرَاح يَدْعُو رَبَّهُ وَيُنَاجِيه : « اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى سَكَرَاتِ المَوْتِ » .

قَالَتْ عَائِشَة (رَضِىَ اللهُ عنهَا) ــ وَكَانَ رَأْس النَّبِىّ ﷺ فِى حِجْرِهَا ــ : وَجَدتُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَثْقل فِى حِجْرى ، فَذَهَبْت أَنْظُر فِى وَجْهِهِ ، فَإِذَا بَصَره قَدْ شَخَصَ وَهُوَ يَقُولُ : « بَلْ الرَّفِيق الأَعْلَى فِى الجَنَّةِ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ (رَضِىَ اللهُ عنهَا) : خُيّرت فاخْتَرْتَ وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ . وَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ سَحْرِى [(١)] وَنَحْرِى ... فَمِن سَفَهِى وَحَدَاثَةِ سِنِّى أَنَّه قُبِضَ وَهُوَ فِى حِجْرِى ، ثُمَّ وَضَعْتُ رَأْسَه عَلَى وِسَادَةٍ ، وَقُمْتُ أَلْتَدم مَعَ النِّسَاءِ وَأَضْرِبُ وَجْهِى » [(٢)] .



تَقْوَى وَوَرَع

إِذَا اسْتَقَرَّ الإِيمَانُ فِى القُلُوبِ ، فَلاَ بُدَّ أَنْ يَبْعَث ذَلِكَ عَلَى الزُّهْدِ وَالتَّقْوَى ، وَيَزْدَادُ ذَلِكَ إِذَا اقْتَرَبَتْ القُرُون مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَيَكْثُرُ إِذَا كَانَ مِنْ صَحَابَةِ

---

(١) **السحر** : الرئة ، أى أنه كان مستنداً إلى ما يحاذى الرئة من صدرها .

(٢) طبقات ابن سعد (٨ - ٥٢) .

النَّبِىّ ﷺ وَيَعْظُمُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ السَّيّدَة عَائِشَة أُمّ المُؤْمِنِينَ (رَضِى الله عنهَا) وَزَوْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ .

لَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الوَرَع والزُّهْد ، وَالتَّقْوَى مَكَانَةً لَا نَسْتَطِيعُ وَصْفَهَا ، وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ مَا رَوَتْهُ بِنْتُ طَلْحَةَ قَالَتْ : إِنَّ السَّيِّدَة عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) قَتَلَتْ جانًّا ، فِيمَا يَرَى النَّائِمُ ، وَقِيلَ لَهَا : وَاللهِ لَقَدْ قَتَلْتِهِ مُسْلِماً .

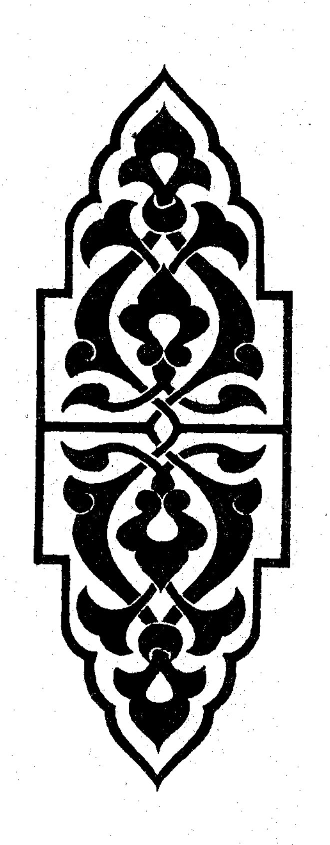
فَقَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : لَوْ كَانَ مُسْلِماً مَا دَخَلَ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِىّ ﷺ .

فَقِيلَ لَهَا : وَهَلْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْكِ إِلَّا وَعَلَيْكِ ثِيَابُكِ ، فَأَصْبَحَتْ وَهِىَ فَزِعَة فَأَمَرَتْ باثْنَى عَشَر أَلْفاً فَجَعَلَتْهَا فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

وَرُوِى أَنَّ ابْن أُخْتِهَا عبد الله بن الزُّبَيْر أَرَادَ أَنْ يَحْجُرَ عَلَيْهَا ، فَأَقْسَمَتْ أَلَّا تُكَلِّمَهُ ، وَلَمَّا طَالَتْ هِجْرَتُهَا لَهُ دَخَلَ عَلَيْهَا فَاعْتَنَقَهَا ابن الزُّبَيْرِ فَبَكَى ، وَبَكَتْ عَائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) بُكَاءً كَثِيراً ، فَنَاشَدَهَا اللهَ والرّحِم أَنْ تُكَلِّمَهُ فَكَلَّمَتْهُ ، ثُمَّ بَعَثَتْ إِلَى اليَمَن فَابْتِيع لَهَا أَرْبَعِينَ رَقَبَةً فَأَعْتَقَتْهَا »(٢) .

زُهْدٌ وَعِبَادَة

كَانَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) من الزُّهْدِ وَالورَع وَالعِبَادَة بِمَكَانٍ كَبِيرٍ ، فَكَانَتْ الصَّلَاة خلْوَتَهَا مَعَ رَبِّهَا ، وَالصَّوْمُ سِرَّهَا مَعَ رَبِّهَا ، وَالذِّكْرُ دَوِيُّهَا ،



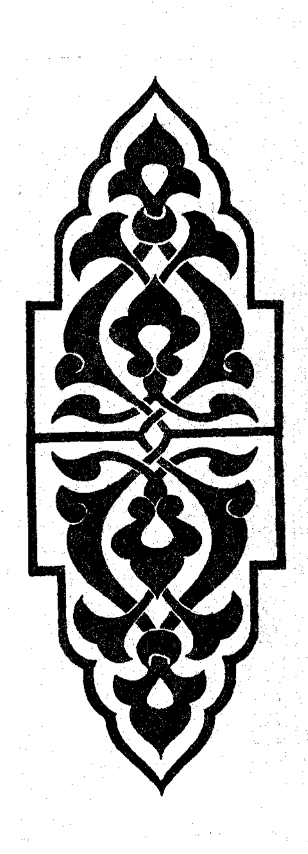
---

(١) ، (٢) الحلية (٢/٤٩) .

وَالْقُرْآنُ كَلامَهَا ، والشَّرْعُ فِعْلَهَا ، فَهِيَ الزَّاهِدَةُ فِي مِحْرَابِ الحَيَاةِ ، السَّاهِرَةِ فِي خَلَواتِ اللَّيَالِي الذَّاكِرَة عِنْدَ غَفْوَةِ العِبَادِ ، وَسُكُونِ العُبَّادِ .

وَهَا هُوَ عُرْوَة (رَضِيَ الله عنهُ) يَصِفُ لَنَا جَانِباً مِنْ عِبَادَتِهَا ، وَيُبَصِّرُنَا مِنْ طَرْفٍ خَفِي بِصُورَةٍ مِنْ حَيَاتِهَا ، وَاصِفاً مُظْهِراً فَيَقُولُ : كُنْتُ إِذَا غَدَوْت أَبْدَأُ بِبَيْتِ عَائِشَة (رَضِيَ الله عنهَا) فَأُسَلِّمُ عَلَيْهَا فَغَدَوْتُ يَوْماً ، فَإِذَا هِيَ قَائِمَة تُسَبِّحُ وَتَقْرَأُ ، وَتَدْعُو ، وَتَبْكِي ، فَقُمْتُ حَتَّى أَطَلْتُ القِيَامَ ، فَذَهَبْتُ إِلَى السُّوق لِحَاجَتِي ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ كَمَا هِيَ تُصَلِّي وَتَبْكِي .

رُبَّمَا يَسْتَغْرِبُ البَعْضُ مِنَّا مِنْ ذَلِكَ أَوْ مِنْ تِلْكَ الآثَارِ ، لَكِنِّي أَقُولُ : لَا غَرَابَةَ !! وَلَا عَجَبَ !! فَهِيَ زَوْجُ النَّبِيّ ﷺ الَّتِي كَانَ القُرْآنِ يَنْزِلُ فِي مَخْدَعِهَا ، وَبَيْنَ يَدَي النَّبِيّ ﷺ .



أَمَّا عَنْ الصَّوْمِ ، والتَّقَرّبِ إِلَى اللهِ فَحَدِّثْ وَلَا حَرَجَ ، وَيَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَالَ القَاسِم بْن مُحَمّد قَالَ : « كَانَتْ عَائِشَةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ (رَضِيَ الله عنهَا) تَصُومُ وَتَصُومُ حَتَّى يتعبها الصَّوْم » [1] .

★ ★ ★

---

(١) الحلية (٢/٤٧) .

جُـودٌ وَكَرَم

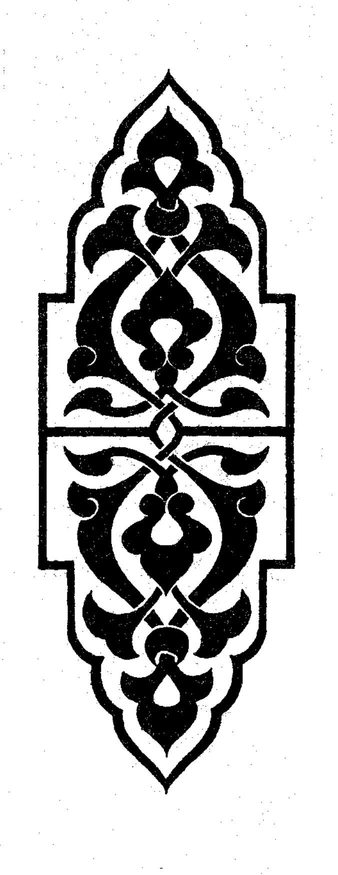
إِنَّهُ لَمِنَ الفُضُولِ أَن أَتَكَلَّمَ عَنْ جُـودِ وَكَرَمِ زَوْجَة مِنْ زَوْجَاتِ النَّبِيّ ﷺ ، وَيَزْدَادُ تَطَفُّلِى وَفُضُـولِى عِنْدَمَا يَكُونُ الحَدِيثُ عَنْ كَرَمِ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) بِنْتِ الصِّدّيقِ (رَضِىَ الله عنهُ) .

فَلَقَدْ تَمَثَّل الكَرَمُ فِيهَا أَصْلًا ، وَمَنْشَأً ، فَأَبُوهَا أَكْرَمُ الكُرَمَاء الصِّدّيق (رَضِىَ الله عنـهُ) الَّذِى جَادَ بِمَالِهِ كُلِّه ، دُونَ الخَوْفِ مِنْ العَوَاقِب ، أَوْ التَّوَجّس مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ، وَعِنْـدَمَا سُئِلَ عَمَا تَرَكَ لِأَهْلِهِ ؟ قَالَ : تَرَكْتُ لَهُمْ حُبّ الله وَرَسُولِهِ ﷺ .

فَإِنْ كَانَتْ الحَبَّةُ طَيِّبَة ، مُبَارَكَة فَلَا بُدّ أَنْ تَكُونَ الثَّمَرَة ضَوْءًا ، وَصَدًى لِهَذَا الأَصْلِ الطَّيِّبِ الكَرِيم ، وَزِدْ عَلَى ذَلِكَ تِلْكَ النَّشْأَة الَّتِى شَبّت فِيهَا السَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِى الله عنهَا) ، وَهَذَاالجَوّ الإِيمَانِىّ الَّذِى تَسْتَنْشِقُهُ ، فِى زَهْرَة عُمْرِهَا .

كَانَ لمهْبطِ الوَحْى فِى حُجْرتِهَا ، وَفِى البِقَاع مِنْ حَوْلِهَا أَثَرٌ كَبِيرٌ فِى رُسُوخِ أُسُس الكَرَم الأَصِيلَةِ عِنْدَ عَائِشَـة (رَضِى الله عنهَا) ، وكَيْفَ لَا وَآيَاتُ القُرْآنِ كَانَتْ تُبَدّد الظُّلُمَاتِ ، وَتَمْحُو الخَبَائِث ؟! ..

وَأَقُولُ بَحَقّ : إِنَّ الأَصْل وَالْمنْشَأ كَانَ لَهُمَا الدُّور الأَوّل وَالأَثَرُ الفَعَّالِ فِى تَكْوِين شَخْصِيّةِ الكَرَمِ عِنْـدَ



السَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِى الله عنهَا) ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ :

أَنَّ ابن أُخْتِهَا عَبد الله بن الزُّبَيْرِ ، أَرْسَلَ إِلَيْهَا مَالًا ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ ، وَهِىَ يَوْمَئِذٍ صَائِمَةٌ ، فَجَعَلَتْ تُقَسِّمُ المَالَ للنَّاسِ ، فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ : يَا جَارِية ! هَاتِى فُطُورِى .

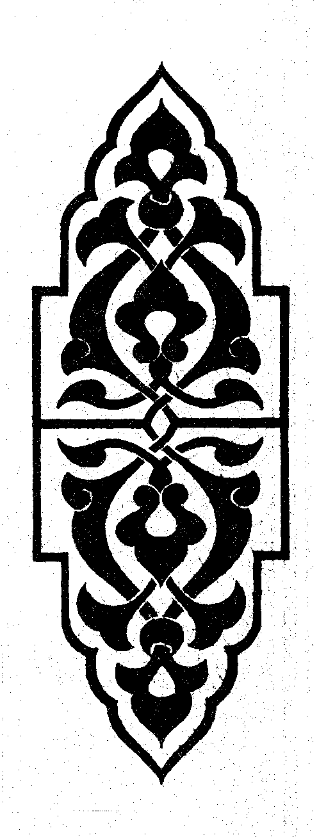
فَقَالَتْ أُمّ ذَرّة : يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ أَمَا اسْتَطَعْتِ فِيمَا أنْفَقْت أَنْ تَشْتَرِى بِدِرْهَمٍ لَحماً تفْطرين عَلَيْهِ ؟

فَقَالَتْ (رَضِىَ الله عَنهَا) : لا تُعَنِّفينى لَوْ كُنْتِ ذَكَّرْتِينِى لَفَعَلْتُ .

وَقَال عُرْوَةُ : كُنْتُ رَأَيْتُ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) تَتَصَدَّقُ بِسَبْعِينَ أَلْفاً ، وَإِنَّهَا لَتَرفَع جَانِبَ دِرْعِهَا فَقِيلَ لَهَا فِى ذَلِكَ .

فَقَالَتْ (رَضِىَ الله عَنهَا) : لَا جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ .

وَقِيلَ : كَانَتْ عَائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) لَا تُمْسِكُ شَيْئاً مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللهِ إِلَّا تَصَدَّقَتْ بِهِ [1] .



بُكَاءٌ وَخَشْيَة

قَدْ يَكُون البُكَاءُ شِفَاء لِشَىْء يَضِيقُ بِهِ الصَّدْرُ ، وَفِى بَعْضِ الأَحْيَانِ يَكُونُ رَحْمَة تَخْرُجُ مِنْ عَيْنِ الإنْسَانِ دُونَ إِرَادَةٍ وَمِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ جَنَاهُ الإنْسَانُ .

وَيَكْثُرُ دَمْعُ العَيْنِ انْهِمَاراً وَسَحًّا عِنْدَمَا يَكُونُ خَشْيَةً

---

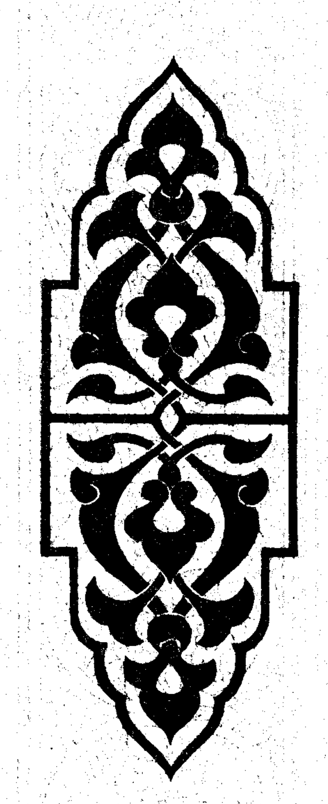
(١) انظر : الحلية (٢/٤٧ ، ٤٨) .

مِنَ اللهِ ، وَخَوْفاً مِنْ لِقَائِهِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ عِنْدَ ذَوِى القُلُوبِ المُرْهَفَةِ مِنَ النَّاسِ ، فَهُمْ كَثِيراً مَا يَكُونُونَ فِى بُكَاءٍ وَنَحِيبٍ ، وَقَلِيل مَا يَضْحَكُونَ ، رَاغِبِينَ عَنِ الدُّنْيَا طَالِبِينَ الآخِرَة .

وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ (رَضِى الله عنهَا) وَاحِدَةً مِنَ اللّائِى لَمْ تُفَارِقْ الدّمْعَةُ أَعْيُنَهُنَّ ، وَلَا النَّحِيبُ صَوْتَهُنَّ ، دُونَ ذَنْبٍ ، وَلِأَقَلّ تَقْصِير .

فَرُوِىَ عَنهَا (رَضِىَ الله عنهَا) أَنَّها عِنْدَمَا كَانَتْ تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ **وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ** ... ﴾ (١) تَبْكِى حَتَّى تَبلّ خِمَارَهَا (٢) .

وَأَهْدَى إِلَيْهَا مُعَاوِيَة ، ثِيَاباً ، وَأَشْيَاء تُوضَع فِى أَسْطُوَانِها (أى العمدان) ، فَلَمّا خَرَجَتْ عَائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) نَظَرَتْ إِلَيْهِ فَبَكَتْ ، ثُمَّ قَالَتْ : لَكِنّ رَسُول اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَجِدُ هَذَا (٣) .



بَلَاغَةٌ وَفَصَاحَة

إِنَّ الفَصَاحَةَ لَهَا أَرْبَابُهَا ، وَالكَلَامَ لَهُ أَهْلُهُ ، وَمَا أَظُنُّ السَّيِّدَة عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) إِلَّا وَاحِدَةً مِنْ هَؤُلَاءِ اللّائِى مَلَكْنَ زِمَامَ الفَصَاحَةِ ، وَرَكِبْنَ جَوَادَ البَلَاغَةِ .

مِمَّا جَعَلَ شَجَرَةَ البَلَاغَةِ ، وغُصُونَ الفَصَاحَةِ ،

---

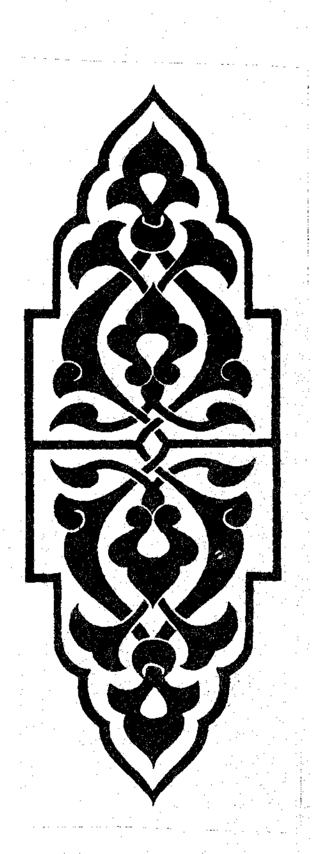
(١) سورة الأحزاب : الآية (٣٣) .
(٢) الحلية (٢/٤٩) .　　(٣) الحلية (٢/٤٨) .

تَنْمُو وَتَتَرَعْرَعُ وَتَزْدَهِرُ فِى نُطْقِ وَكَلَامِ السَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِى الله عنهَا) ، تِلْكَ البِيئَة العَرَبِيّة الَّتِى نَشَأَتْ فِى أَحْضَانِهَا السَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) ، وَذَاكَ البَيْت السَّمَاوِىّ ، الَّذِى عَاشَتْ فِيهِ ، وَالَّذِى كَانَ رَبّهُ أَفْصَح النَّاطِقِينَ بالضَّادِ قَاطِبةً : مُحَمَّد بن عَبْدِ الله ﷺ .

وَذَاعَتْ فَصَاحَتُهَا ، وَعُرِفَتْ بَلَاغَتُهَا ، مَبْلَغ اسْمِهَا وَسِيرَتِهَا بَيْنَ الأَنَام ، لِدَرَجَةِ أَنَّهَا قُورِنَت بِصَنَادِيدِ الفَصَاحَةِ ، وَأَئِمَّةِ البَلَاغَةِ : خُلَفَاء النَّبِىّ ﷺ وَأَئِمَّة المُسْلِمِينَ .

وَهَذَا الأَحْنَفُ بن قَيْس ، وَمَنْ هُوَ الأَحْنَف ؟!

يَقُولُ : سَمِعْتُ خُطْبَةَ أَبِى بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ابن عَفَّان ، وَعَلَى بن أَبِى طَالِب وَالخُلَفَاء (رَضِىَ الله عنهم) وهَلُمّ جرًّا إِلَى يومِى هَذَا ، فَمَا سَمِعْتُ الكَلَامَ مِنْ فَمِ مَخْلُوقٍ أَفْخَمَ ، وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ فِى عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) .



وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مُوسَى بن طَلْحَة قَائِلًا : « مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) » .

وَيُتَوِّجُ ذَلِكَ ، وَيُزَيِّنُهُ مُعَاوِيَة بن أَبِى سُفْيَان مُقْسِماً فَيَقُولُ : « وَالله مَا رَأَيْتُ خَطِيباً قَطّ أَبْلَغ ، وَلَا أَفْصَح مِنْ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) » .

وَقَالَ : « مَا رَأَيْتُ أَحَداً بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ أَبْلَغَ مِنْ عَائِشَةَ (رَضِى الله عنهَا) » [1] .

---

(١) الحلية (٢/٤٥ - ٤٩) ، وبلاغات النساء ص (١٥) .

رِوَايَةُ الشِّعْرِ

إِنَّ الشِّعْرَ دِيوَانُ العَرَبِ ، وَإِنَّ حِفْظَ هَذَا الدِّيوَان كَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِى يَتَشَوّقُ إِلَيْهَا العَرَبُ رِجالًا وإِنَاثاً ، لَيْسَ كَذَلِكَ فحسب ، بَلْ إِنَّ الحَافِظَ لِذَلِكَ ، وَالمُطَّلِعَ العَالِمَ بِهِ يَعْظُمُ فِي قَوْمِهِ ، وَيُجْعَلُ مِنَ السَّادَةِ المُقَدَّمِينَ ، وَمِنْ حُسْنِ الحَظِّ أَنَّ السَّيِّدَة عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا وَأرضَاها) نَالَتْ مِنْ ذَلِكَ قِسْطاً كَبِيراً فَكَانَتْ رَاوِيَةً ، حَافِظَةً عَالِمَةً بِهِ .

وَيَحْكِى لَنَا عُرْوَةُ عَنْ عَائِشَةَ (رَضِىَ الله عنهَا) قَالَتْ : كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ (بخيط) ، وَكُنْتُ أَغْزِلُ ، قَالَتْ : فَنَظَرْتُ إِلَى رَسُول اللهِ ﷺ فَجَعَلَ جَبِينهُ يَعْرَقُ ، وَجَعَلَ عَرَقُهُ يَتَوَلَّدُ نُوراً .

قَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : فَبَهِتُّ (اسْتَغْرَبْتَ وَتَعَجَّبْتُ) .

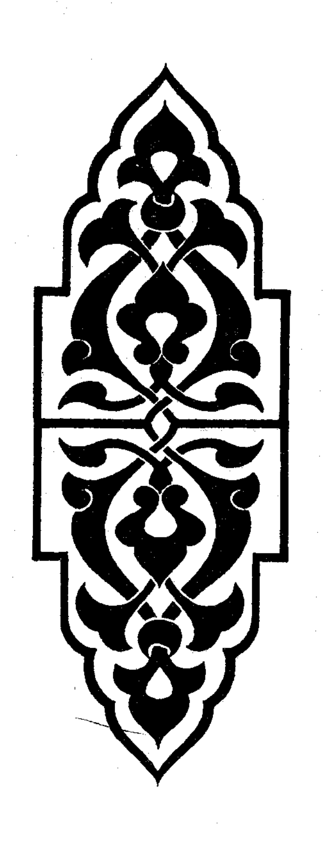
قَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : فَنَظَرَ إِلَيّ .

فَقَالَ ﷺ : مَا لَكِ بَهِتّ ؟!

فَقَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : يَا رَسُولَ الله نَظَرْتُ إِلَيْكَ فَجَعَلَ جَبِينُكَ يَعْرَقُ ، وَجَعَلَ عَرَقُكَ يَتَوَلَّدُ نُوراً فَلَوْ رَآكَ أَبُو كَبِيرِ الهُذَلِىّ لَعَلِمَ أَنَّكَ أَحَقُّ بِشِعْرِهِ .

قَالَ ﷺ : وَمَا يَقُولُ يَا عَائِشَةُ أَبُو كَبِير الهُذَلى ؟

فَقَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : يَقُولُ :



وَمُبَرء مِنْ كُلّ غبْر [١] حَيْضَة

وَفَسَاد مُرْضِعَة وَدَاء مغيل

وَإِذَا نظرتَ إِلى أسرة وجهه

بَرقتْ كَبَرْق العَارض المُتَهلّل

قَالَتْ (رَضِىَ الله عنهَا) : فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا كَانَ فِى يَدِهِ ، وَقَامَ إِلَىّ فَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنِى .

وَقَال ﷺ : جَزَاكِ اللهُ يَا عَائِشَةُ خَيْراً ، مَا سُرِرْتُ مِنّى كَسُرُورِى مِنْكِ » [٢] .

وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ ظُهُوراً، وَيَبْرُزُ وُضُوحاً ، عِنْدَمَا جَلَسَتْ بَيْنَ يَدِىْ أَبِيهَا فِى مَرَضِهِ الَّذِى تُوفِّى فِيهِ ، فَقَالَتْ عِنْدَمَا أُغْمِضَ عَيْنَاهُ :

وَأَبْيض يَسْتَسْقِى الغَمَام بِوَجْهِهِ

رَبِيع اليَتَامَى عِصْمةً للأرَامِل

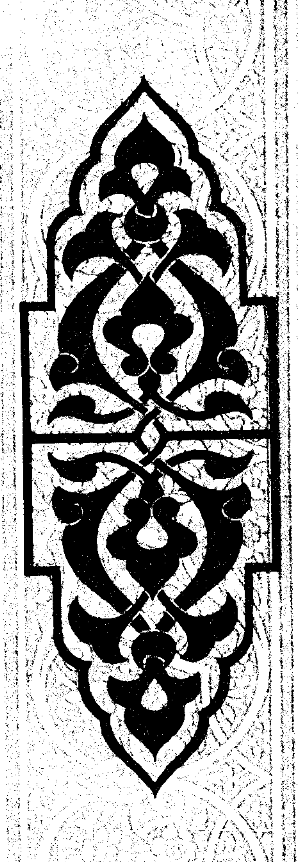
ثُمَّ أُغْمِى عَلَيْهِ فَقَالَتْ :

لَعَمْرِكَ مَا يُغْنِى الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى

إِذَاحشْرجَتْ يَوْماً وَضَاقَ بِها الصَّدْرُ [٣]

وَكُلّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى مَا كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَة (رَضِىَ الله عنهَا) مِنْ إِجَادَةٍ ، وَحِفْظٍ لِدِيوَانِ العَرَبِ ، وَأَشْعَارِهِمْ .

★ ★ ★



---

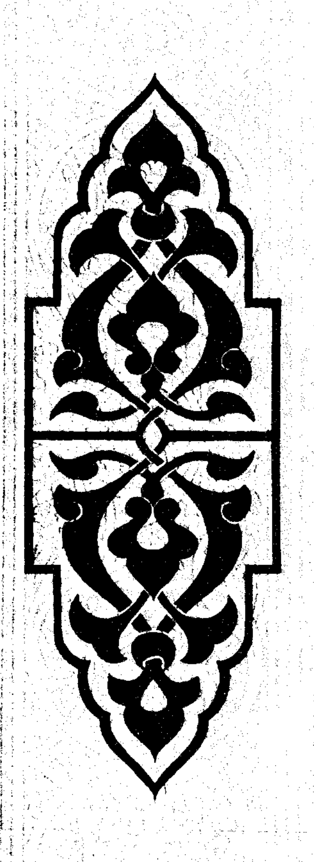
(١) بقية الشىء . (٢) الحلية (٤٥/٢) .

(٣) أعلام النساء (١١٤/٣) .

رُؤْيَـةُ الـمَـلَائِكَةِ

يَزِيدُ سُرُورَ الإِنْسَانِ ، وَيَعْظُمُ فَخْرُهُ إِذَا رَأَى تَقِيًّا أَوْ وَلِيًّا ، وَرُبَّمَا يُعَدُّ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِهِ ، وَحَسَنَاتِهِ ، فَكَيْفَ ــ بِاللهِ عَلَيْكَ ــ إِذَا رَأَى مَلَكًا يُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ؟!!

إِنَّ هَذَا الشَّرَفَ العَظِيمَ ، وَالكَرَامَةَ الكَبِيرَةَ قَدْ تَجَلَّت إِلَى السَّيِّدَة عَائِشَةَ (رَضِي الله عنهَا) ، لِتَنَالَ مِنَ الشَّرَفِ وَالرِّفْعَةِ قَدْراً كَبِيراً .



فَعَنْ أَبِى سَلَمَةَ عَنْ عَائِشَةَ (رَضِى الله عنهَا) قَالَتْ : رَأَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، وَاضِعاً يَدَكَ عَلَى مَعْرِفَةِ فَرَسٍ ، وَأَنْتَ قَائِمٌ تُكَلِّمُ دِحْيَة الكَلْبِى .

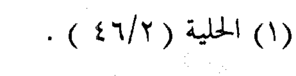
قَالَ ﷺ : أَوَ قَدْ رَأَيْتِهِ ؟

قَـالَتْ (رَضِيَ الله عنهَا) : نَعَمْ !

قَالَ ﷺ : فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، وَهُوَ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ .

قَـالَتْ (رَضِيَ الله عنهَا) : وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله ، وَجَزَاهُ الله خَيْراً مِنْ زَائِرٍ ، وَمِنْ دَخِيلٍ ، فَنِعْمَ الصَّاحِبُ ، وَنِعْمَ الدَّخِيلُ [١] .

★ ★ ★



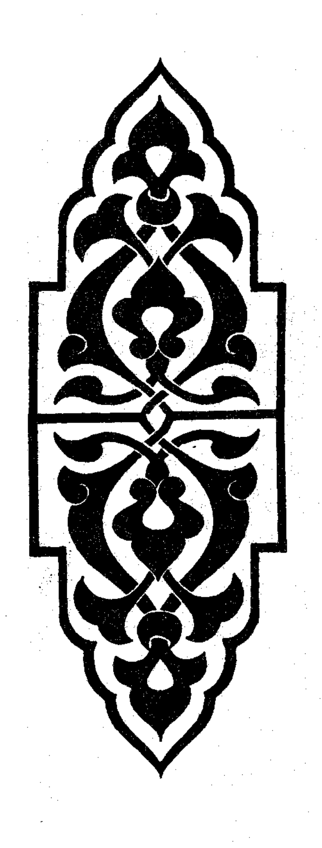
(١) الحلية (٤٦/٢) .

عِـلْمٌ وَفِقْـهٌ

للسَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِى الله عنهَا) أَثَرٌ كَبِيرٌ فِى الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ فِى الإِسْلَامِ ، وَبِهَا نَالَتْ مَنْزِلَةً لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلَها وَلَا بَعْدَهَا ، مِمَّا جَعَلَ البَعْضَ يُفَضِّلُونَ عَلَى الجَمِيعِ ، فَقَدْ قَامَتْ بِمَجْهُودٍ كَبِيرٍ حَفِظَتْ بِ الكَثِيرَ مِنْ أُصُولِ الدَّعْوَةِ ، وَتَعِبَتْ تَعَباً شَدِيداً ؛ لأَنَّ العُلُومَ الإِسْلَامِيّة كَانَتْ تُرْوَى مُشَافَهَة وَتُحْفَظُ حِفْظ وَسَماعاً ، وَأَنَّ هَذِهِ العُلُوم لَمْ تُدَوّن إِلَّا فِى القَرْنِ الثَّانِى حَتَّى مَنْ كَانَ يُدَوّن فَإِنَّمَا يُدَوّن لِنَفْسِه ، وَلِلسَّيِّدَ عَائِشَة (رَضِى الله عنها) بِحُكْمِ مَكَانَتِهَا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ ، وَحِرْصِهَا عَلَى اتّبَاعِ رِسَالَتِهِ وَاسْتِعْدَادِهَا لِنَشْرِهَ مَكَانَةً عَظِيمَةً ، فَلَقَدْ وَهَبَهَا الله مَا امْتَازَتْ بِهِ عَلَى الغَيْ بِكَثْرَةِ الحِفْظِ ، وَدِقَّةِ الرِّوَايَةِ ، وَحُضُورِ البَدِيهَةِ ، وَشِدَّ حَمَاسَتِهَا لِتَأْدِيَةِ عَمَلٍ تَنْفَعُ بِهِ المُسْلِمِينَ وَأَوَّلُ هَـذَ العَمَل مَا يَأْتِى :

رِوَايَةُ الحَدِيث :

وَهُوَ أَبْرَزُ مَا قَامَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ (رَضِىَ الله عنهَا) مِنْ أَعْمَالٍ ، فَهِىَ مُلَازِمَةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُطَّلِعَةٌ عَلَى كُلِّ مَا يَقُومُ بِهِ مِمَّا يَتَأَسّى بِهِ المُسْلِمُونَ



لَقَدْ نَقَلَتْ لَنَا كُلَّ مَا عَرَفَتْهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَقْرِيرٍ ، كَانَتْ صَادِقَةً فِيمَا تَنْقُلُ عَالِمَة بِأَحْكَامِ الدِّينِ ، وَشَهِدَ ا عَلَى ذَلِكَ المُقَرَّبُونَ إِلَيْهَا .

فَابْنُ الزُّبَيْرِ ابن أُخْتِهَا أَسْمَاء يَقُولُ إِذَا حَدَّثَ عَنْهَا : وَاللهِ لَا تَكْذِبُ عَائِشَة عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبَداً) .

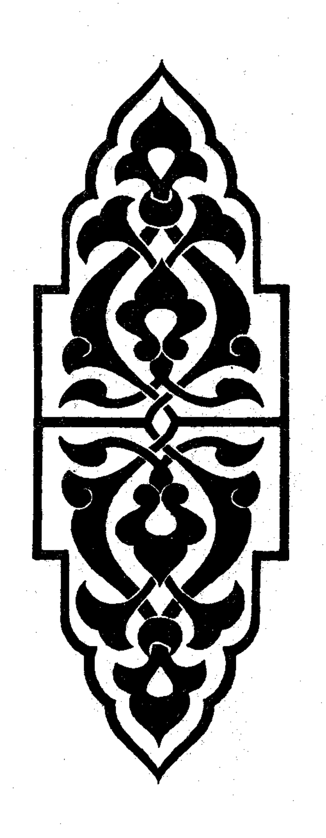
وَكَانَ مَسْرُوق يَقُولُ فِي نَقْلِ الأَحَادِيثِ عَنْهَا : حَدَّثَتْنِي الصَّادِقَةُ أَوْ الصِّدِّيقَةُ ابْنَةُ الصِّدِّيق ... وَقَالَ ى رِوَايَةٍ أُخْرَى ... فَلَمْ أُكَذِّبْهَا)[1] .

وَلَقَدْ بَلَغَ مَا رُوِيَ عَنْهَا أَلْفَيْنِ وَمائَتَيْنِ وَعَشْرَة حَادِيث .

فِقْــه :

لَمْ يَكُنْ دَوْرُ عَائِشَةَ (رَضِي الله عنهَا) لِنَقْلِ حَدِيثِ فَحَسْب ، وَإِنَّمَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ إِلَى الفِقْه مَوْلِدِهِ وَالأَحْكَام الشَّرْعِيّة ، وَكَانَ يَأْخُذُ عَنْهَا كَثِير نَ الرِّجَالِ وَالفُقَهَاء حَتَّى قِيلَ : (إِنَّ رُبْعَ الأَحْكَامِ شَّرْعِيّةِ مَنْقُولٌ عَنْهَا) .

لَقَدْ كَانَتْ مِنْ أَفْقَه النَّاسِ ، وَكَانَتْ تُفْتِي فِي خِلَافَةِ بِي بَكْرٍ ، وَعُمَر ، وَعُثْمَان (رَضِي الله عنهُم) ، وَكَانُوا سْأَلُونَها عَنْ مَسَائِل كَثِيرَة ، رُبَّمَا خَفِيَتْ عَلَيْهِمْ ، وَكَانَ قضَاة يَجْتَمِعُونَ عِنْدَهَا لِحَل بَعْضِ المَشَاكِل .



(١) أسد الغابة (٥/٥٠٤) .

قَالَ عمْرَان بن حَطَّان ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالعِلْم
كُنْتُ عِنْدَ عَائِشَة (رَضِيَ الله عنهَا) فَتَذَاكَرُوا القُضَا
وَاسْتَمَعُوا إِلَى مَا تَقُول بِهِ .

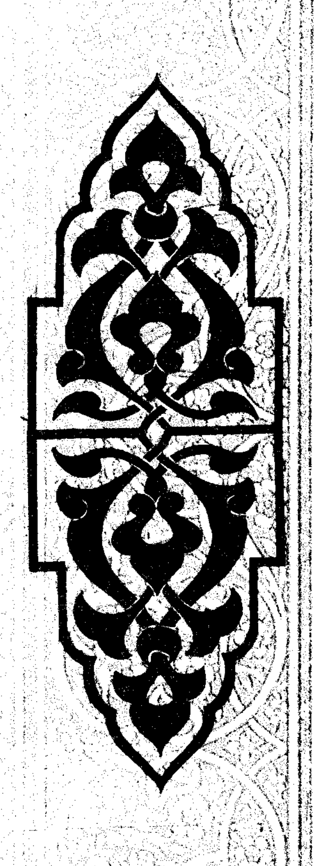
القُــرآنُ وَالتَّـفسـير :

كَانَتْ (رَضِيَ الله عَنهَا) إِذَا غَمضَ عَلَيْهَا تَفْسِي
آيَةٍ سَأَلَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، سَأَلَتْ عَنْ قَوْل الله تَعَالَى
﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ وَبَرَزُو
لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾[1] ؟

فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ ؟

فَقَالَ ﷺ : « عَلَى الصِّرَاطِ » .

وَهَكَذَا كَانَتْ عَائِشَةُ (رَضِيَ الله عَنهَا) .

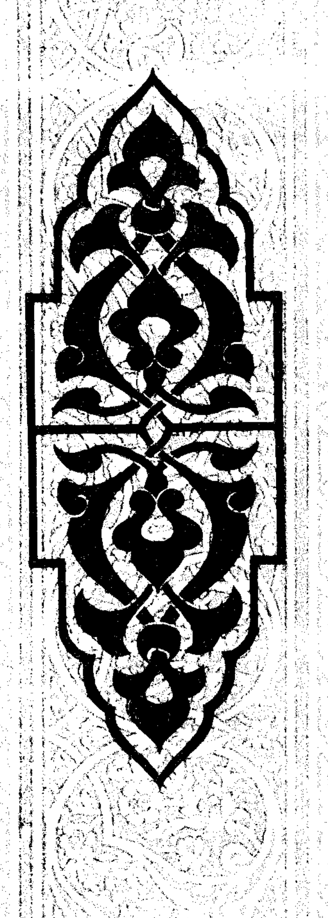


الـمَـرَضُ وَالوَفَـاة

وَمَرّت السُّنُون بِطُولِهَا بَعْدَ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ
وَبَلَغَتِ السَّيِّدَة عَائِشَة (رَضِيَ الله عنهَا) السَّادِسَة
والسِّتّين ، وَمَرِضَتْ مَرَضَهَا الأَخِيرَ ، فَحَزِنَ النَّاسُ كَثِيراً
وَتَمَنَّوْا لَهَا الشِّفَاءَ ، لكِنْ (رَضِيَ الله عنهَا) كَانَتْ
تَشْعُرُ بِدُنُوّ الأَجَلِ ، وَأَنّ الحَيَاةَ الدُّنْيَا لَا قِيمَةَ لَهَا
وَانْتَابَها خَوْفٌ شَدِيدٌ مِنَ المَوْتِ وَلِقَاءِ الله سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى ، فَكَانَتْ بَيْنَ الرَّجَاءِ وَالدُّعَاءِ ، وَتَمَنَّتْ
لَوْ كَانَتْ نَسْياً مَنْسِيًّا ! .

---

(١) سورة إبراهيم : الآية (٤٨) .



لَقَدْ رَأَوْهَا ، وَهِىَ عَلَى فِراشِ المَوْتِ دَامِعَةَ العَيْنِ تُنَاجِى رَبَّهَا ، وَتَسْأَلُهُ المَغْفِرَةَ ، وَحُسْن اللِّقَاءِ .

★ ★ ★

كَانَتْ (رَضِىَ الله عَنهَا) شَاعِرَةً بِرَهْبَةِ المَوْتِ وَجلَالِهِ ، وَكَانَتْ تُفَكِّرُ فِيمَا هِىَ مُقْبِلَة عَلَيْهِ ، وَهِىَ بَيْنَ الرَّجَاء وَالخَوْفِ والدُّعَاءِ ...

ثُمَّ اتّجَهَتْ بالكَلَامِ لِمَنْ حَوْلَهَا ، فَأَمَرَتْ أَنْ تُدْفَنَ فِى البَقِيع ... وَأَلَّا يَتْبَعُوا سَرِيرَهَا بِنَارٍ ، وَلَا يَجْعَلُوا تَحْتَهَا قَطِيفَةً حَمْرَاء ، ثُمَّ خَرَجَ السِّر الإِلٰهِىّ ، وَصَعَدَتِ الرُّوحُ إِلَى بَارِئِهَا .

حَمَلُوهَا لَيْلًا وَكَانَ شَهْرُ رَمَضَانَ ، وَقَدْ جَاوَزَ الشَّهْرُ النِّصْفَ فِى اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ عَشَرة سَنَة ثَمَانٍ وَخَمْسِين ، اجْتَمَعَتِ المَدِينَةُ حَوْلَهَا ، وَحَمَلَ النَّاسُ المَشَاعِلَ ، وهُمْ يَبْكُونَ حَبِيبَةَ رَسُول الله ﷺ حَتَّى وَصَلُوا البَقِيعَ ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، ثُمَّ قَبرهَا عَبْدُ اللهِ ، وَعُرْوَةُ ابنَا أُخْتِهَا (رَضِىَ الله عنهُم) .

فرحمة الله عليها ورضى عنها [1].



(١) راجع : البداية (٩١/٨) .

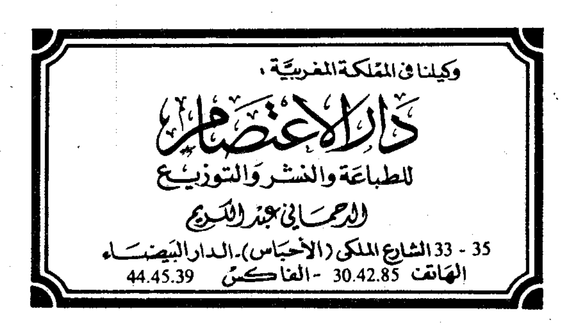
وإلى اللقاء بمشيئة الله مع ..

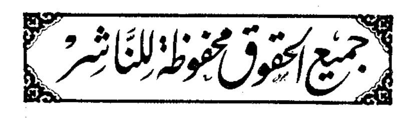
فاطمة رضي الله عنها
الزهراء البتول

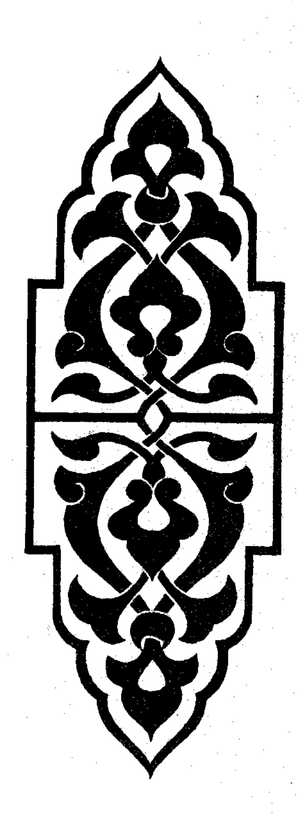
★ ★ ★



الإدارة : القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس : ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة : ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات : دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦







رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٧٦١٤ / ١٩٩٧

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة
الرقم البريدي ـــ ١١٢٣١

